من أحسن الحديث

تلك امة محمد صلى الله عليه وسلم ولن تموت

بقلم الشيخ؛ أبي قتادة الفلسطيني
عمر بن مجمود أبو عمر

الحمد لله وكفى، والصـــــلاة والســـــلام على نبيه المصطفى، وعلى آله وصحبه ومن بهداهم اهتدى.

وبعد:

لم أكن بفضل الله تعـالى أكـثر ثقة ويقين بنصر الله تعالى لهذا الدين وأهله كما أنا عليه اليوم، وإن ديناً يتجـدد عطـاؤه اليـوم في عصـوره المتـأخرة كما كـان في أيـام نزوله لدين عظيم والله، وقد وجب علينا أن نـردد ما كـان يقوله الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسـلم في قيـام الليل ويردده: "ووعدك حق".

فوعد الله تعـالى حق ولن يتخلـف، لكن لهـذا الوعد سنة جارية في حضوره لا تتخلف، هي أنه لعظمته لا يـأتي إلا مع البلاء والمحن، وهــذا هو سر الوجــود وهو أن تنبثق الحيــاة مع الألم، ويتفجر العطــاء مع المحن، ولــولا هــذا السر لما كـان للعطـاء قيمة ولا أهميــة، لأنه حينئذ يكــون مبتــذلاً يلتقطه كل واحــد، وهــذا يمنع معــنى الفضل فيه ويرفع خصوصيته.

تعـــــال معي يا عبد الله الى آية جليلة عظيمة في تاريخ البشرية،آية كونية؛ كانت رحمة لخلق آمنــوا بها على وجهها وصـدقوا بهـا، ونقمة على قــوم آخــرين كفــروا بها وحملوها على غير وجهها؛

ألا وهي خلق نــبي الله تعــالى عيسى عليه الصــلاة والسـلام؛ هـذه الآية الجليلة العظيمة لم تـأت إلا مع الألم ولو خُيِّرت أمه مــريم عليها والســلام أن لا يقع عليها هــذا الفضل الإلهي لاختارته،لما فيه من البلاء عليها وهي الحرة العفيفة، فهي التي قـالت وهي في مخاضـها وقد حضـرت الولادة للنبي عيسى عليه الصلاة والسلام: {يا ليتــني متُّ

قبل هــذا وكنتُ نســاً منســيا}، وهي كلمــات تحمل كل معاني الألم والخـوف من الآتي، وكيف لا تقـول هـذا وهي تعلم ما سيقول الناس عنها.

والنـــاس يومها هم أهل البهتـــان والكـــذب وهم اليهـود.فإنها قد تخيلت ما سـيقول النـاس من اتهامها في عرضها وشرفها وهي الحصان الرزان ولا تـزن بريبة عليها السـلام، لكن القـدر الإلهي بحصـول الفضل لهـا، واختيـار الـــرب أن تقع الآية عليها دون غيرها لا يمكن أن يخلو من هذا البلاء الجليل العظيم،وتلك سنة الله تعالى في قـدوم المنن والمنح الربانيـة، تـأتي على أصـحابها رغم أنـوفهم، ولو خيروا لاختاروا السلامة من غير معصـية ولا ذنب، لكن رحمة الله تعـالى تلاحقهم وتـأتيهم على قـدر الله تعـالى دون تقديرهم، وفي الرحمة يكون البلاء وتكون المحنة.

ومثله ما وقع لأمنا عائشة رضي الله عنها في حادثة الأفك وما اصـابها رضي الله عنها من البلاء ومع ذلك قـال الله تعـالى في الأمـر: {لا تحسـبوه شـرا لكم بل هو خـير لكم}، ولم يكن يدور في خلـدها قط أن يـنزل فيها قـرآن يتلى الى يـــوم القيامة كما ذكـــرت هي رضي الله عنها فقـــالت: (ولكن والله ما كنت أظن أن الله مـــنزل في شـأني وحيا يتلى، ولشـأني في نفسي كـان أحقر من أن يتكلم الله في بأمر يتلى ولكني كنت أرجو أن يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم في النـوم رؤيا يبرئـني الله به) اهـ

فالذين يريدون امامة الخير دون بلاء واهمون ويبنون احلامهم على رمال وسراب.

في هذه الحالة يقف الناس في فـرق شـتى بحسب مقام الآخرة في قلـوبهم وبحسب رغبتهم عن هـذه الـدنيا الفانية، وأبعدهم عن الله تعالى وأشدهم إيـذاءً لأهل البلاء هم أولئك الـذين ملكهم الله تعـالى ألسـنة الشـر، منـافق القلب عليم اللسـان، هـذا الـذي يقف ليفسر كل الحـدث بحسب ما فـــات النـــاس من دنيـــاهم وما خســـروا من رغبـــاتهم، فـــالآخرة لا حضـــور لها في قلبـــه، يتحسر على المـوتى حسـرة أهل الجاهلية إذ يـراهم قد خسـروا الـدنيا وهي عنده كل شيء ولا شيء بعدها.

فلا يرى الشهادة ولا ما أصـاب الشـهداء من الفضل الإلهي وذلك بـأن اختصـهم الله بـأن قبل منهم دمـاءهم وأرواحهم عنده ليجزيهم بها خـير الجـزاء وأحسـنه، وينظر فلا يـرى الا المسـاجين والأسـرى قد حـوتهم الجـدران والأقفاص فينقطع قلبه حتى يقول لك: {لو كانوا عنـدنا ما ماتوا وما قتلوا ليجعل الله ذلك حسرة في قلوبهم}.

ولا يـرى بل يعمى عن رؤية ما أصـاب النـاس من فضل التمحيص ليحصل الخير صافيا في نفـوس النـاس لا دخن فيه، فالتبر لا يخلص ذهبا حتى يفتن بالنار، والبلاء هو فتنة الصـالحين، ومن ذلك ان الله يحب تـأوههم وبكـاءهم ويعجب لـدموعهم وهي تسـتغيث به وترجـوه وتسـاله الرضـوالنجاة والقبـول، وكيف لا يحب الله تـأوههم وإمـامهم ابـراهيم عليه السـلام؛ امـام أهل البلاء والمحنة وقدوة اهل التضحية، فهذا النـبي العظيم مدحه الـرب جل في علاه بأنه أواه حليم وأواه منيب.

فبالله عليكم من اصفى قلبا ومن أرقها؟!

أهـؤلاء المنعمـون على الفـرش المـالؤون بطـونهم، المسـتكثرون من دنيـاهم؟اذ قـدلا يخطر على بـال الواحد منهم ان يبكي بين يـدي الله تعـالى، فهـولا يشـعر أن له حاجة عند الله ليسـاله اياهـا، فلايسـتغيث به اسـتغاثة ذي النون عليه السـلام في بطن الحـوت وهو الـذي قـال الله عنه: {فنادى في الظلمات أن لا اله الا انت سـبحانك اني كنت من الظالمين}.

وتأمل ثم تأمل كلمة "نادى" لترى فيها حال الـداعي وشدة طلبه لقضاء حاجته.

هؤلاء القوم الـذين شـابهوا الكفـار والمشـركين من أهل الكتاب الذين قال الله تعالى عن قـولهم بعد حصـول البلاء لأهل الإيمـان بعد أحـد: {لتبلـون في أمـوالكم وأنفسـكم ولتسـمعن من الـذين أوتـوا الكتـاب من قبلكم ومن الذين اشركوا أذى كثيرا وإن تصبروا وتتقوا فإن ذلك من عزم الأمور}.

هؤلاء الـذين لا هم لهم الا: {سـلقوكم بألسـنة حـداد أشحة على الخير}، فليس لهم الا ألسنة الشر؛ كرماء فيه بلا منع، لكنهم على الخير وأهله بخلاء أهل منع وشح:

لا خيل عندك تهديها ولا مال فليسعد النطق ان لم يسعد الحال

فحسبنا الله ونعم الوكيل.

أما واقع الحـــال فوالله مليء بالبشـــارات رغم كل المحن، بل هي في الواقع تتلألأ كـــالجواهر الثمينة وسط الركام الكثيف، ووالله عميت عيون لا ترى كل هـذه المنن الا وسـاءت ظنــون بربها لا تــرى هــذه البشـائر الجليلة الشـريفة القادمة من وراء سـدف الغيب تحث الخطا في كل البلاد والصعد والأقطار.

في قصة الحيـاة الـتي نحياها في الصـراع بين الحق والباطل، بين الإسلام وخصــومه، هي قصة تمتد منذ الأزل وهي علة الوجــود فإليها تعــود كل الحقــائق لأنها بين من آمن بالله وبين من كفر بـه، وقيمة الحيـاة إنما تكـون من خلال ميزان الإيمان ومعياره، فكل ما فيها باطل كما قـال الصادق المصدوق صلوات ربي وسلامه عليـه، إلا ذكر الله تعالى وما والاه، وعالماً ومتعلمـاً، ومعيـار النصر والهزيمة هو من خلال تحقق العبودية في نفس المرء، فقمة النصر هو تحقق التوحيد والإيمان، والهزيمة هي التراجع عن قيم الإيمان والتوحيد، وتلك هي حكاية الحياة.

هذا الكلام لا نقوله حتى نعيش الـوهم أننا في نصـر، لا والله، فنحن نعلم أن دولة للإسلام قد زالت اليــوم، وأن شـباباً للإسـلام قد قتلـوا وسـجنوا، وأن الكثـير من أهل الإسـلام في تشـرد ومطـاردة، كل هـذا نعلمـه، لكن نعلم كــــذلك أننا في هــــذه المحنة حققنا أعظم نصر منذ أن سقطت الخلافةالإسلامية.

ذلك أنه لما سقطت الخلافة الاسلامية كـانت هزيمة لأهل الاســـلام منكــــرة، لا لأن دولة الاســـلام قد زالت فحســب، فهـذا أمر سـنني في تـداول الخلق، كما قـال تعــالى: {وتلك الايــام نــداولها بين النــاس}، وكما قــال العـربي قـديما: "يـوم لنا ويـوم علينا... يـوم نسـاء ويـوم نسـر"... لكن الهزيمة العظمى يومها حين تراجع الاسـلام في نفوس أهله، وحين صـارت المعركة لها رايـات أخـرى غـير راية الاسـلام، وحين ارتد النـاس الى جـاهليتهم فتلك والله كانت الهزيمة الكبرى الشنيعة.

حين ضـــاعت فلســـطين في النكبة الأولى كـــانت هزيمة وأي هزيمــة؛ فقد جــالت فينا الشــياطين جولتهــا، وانتشر الإلحــاد بين الشــباب، ودخلت المفــاهيم والعقائد الغربية الينا؛ فهذا شيوعي وهذا بعـثي وهـذا قـومي وهـذا يميني وهـذا يسـاري وهكـذا، هـذه هي الهزيمة في الـدنيا والآخرة.

أمتنا طـــردت الاســـتعمار الأجنـــبي من الأرض في مطلع القرن الماضـي، فهل كـان خروجه واسـتقلال البلاد كما سموه نصرا؟!

لا والله بل هو تكريس للهزيمة، لأن الإسلام لم يكن هو البديل عن حكم الكافر الأجنبي، بل ابتلينا بكـافر مرتد أقذر وأشنع وأسوأ من الكافر الأصلي.

إذا تأملت هــذا يا عبد الله وأنعمت فيه النظر علمت ما هو ميزان الحكم على الحوادث والنـوازل، ثم علمت ما هو النصر على حقيقته وما هي الهزيمة على حقيقتها.

ثم تأمل قوله تعـــالى: {إذا جـــاء نصر الله والفتح، ورأيت النـاس يـدخلون في دين الله أفواجـا} فمـاذا تـرى النصر وقرينه في هذه السورة الجليلة؟

إنه: {ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا}.

إن النصر هو عـــدم اهـــتزاز يقين النـــاس، وعـــدم فقدانهم لثقتهم بهذا الدين العظيم، وثبـاتهم على مبـادئهم العظيمة التي آمنوا بها.

فمــاذا تــرى اليــوم لو تــأملت ما وقع الى الآن من المعركة؟ ذلك لأن المعركة لم تنته بعـد، والكلمة الأخـيرة في قصة الصـــراع لم تكتب، فما زال في حكاية الصـــراع بيننا وبين الباطل سطور، بل وسطور كثيرة ستكتب بالدم والـدخان والعـرق والنـار، أقـول؛ فمـاذا تـرى اليـوم وقد سقطت حركة طالبان الاسـلامية، ومـات شـهداء، وسـجن شباب، وتشردت عائلات وأهالي؟

إن ســألتني ما أرى، وما أســمع؟ فــألق إليَّ بعض انتباهك:

والله ما أرى إلا إقبـالاً على دين الله تعـالى وزيـادة تمسك أهله بـــه، ولقد شـــهدت بعض من كـــان يأمل أن يقـوده صـدام حسـين البعـثي الى النصر وتحقيق الوعـود الإلهية، فلما انكشف الغطاء على كذب وكفر ذاك البعـثي انتكس الرجل في دينه وصدرت منه كلمات الردة والكفر، لكني والله وأنا المتابع لم أر في هذه المعركة - الـتي هي بين الأخوة المجاهدين في أفغانستان والصليبين والأحزاب الكـافرة - من نـدم أنه وقف مع الحق أو قـال كلمة حـق، ووالله شـــهدت من مـــات له حـــبيب فما زاد أن خلط مع حزن الفراق فرح الإيمان أن حبيبه مات شهيداً في سبيل الله تعالى.

ثم والله لا أرى إلا رغبة في الشهادة في سـبيل الله تعالى في نفوس الشيوخ والكهول والشباب، وإن أحـــدهم يخبرني عن أبيه المسن أنه ليس له رغبة في هذه الحيـاة سوى أن يصنع ما يصنع شباب الإيمان في فلسطين.

وإني لأشهد أني لا أرى في شـباب الإسـلام ممن لم يشهدوا المواقع إلا حزناً أن فـاتتهم الموقعة وفـاتهم لقـاء الــرحمن شــهداء، وإنهم ليقولــون ما قــال أنس بن النضر رضي الله عنه لما فاتته معركة بـــدر الكـــبرى قـــال: (لئن أشهدني الله موقعة أخرى ليرين الله ما أصنع).

فهل هذه الموقعة وهذه المواقع الـتي يشـهدها أهل الإسـلام في أفغانسـتان وفلسـطين وكردسـتان والفلـبين وكشمير والشيشان وغيرها من بلاد الاسـلام تصـنع نصـراً وإيماناً، أم أنها صـنعت هزيمة وتراجعـاً؟! تأمل وتـدبر تجد الجواب، لكن دعك من أهل الإرجاف والتخويف والتثبيط.

دعك من الذين يقولون كما قال أئمتهم: {غر هـؤلاء دينهم}، قالوها بعد موقعة أحد حين أصـيب أهل الاسـلام بجرح لم يكن إلا كما قال الشاعر:

لعل عتبك محمود عواقبه   وربماً صحت الأجسام بالعلل

دعك من الذين قالوا: "لقد ورطونا وورطوا الأمة".

يقولونها نصـــرةً لطـــرائقهم البدعيـــة، وجماعـــاتهم الهرمة، ومذاهبهم العجيبة.

فهؤلاء لو انتصر الاسلام على غير أيـديهم لما عـدوه شـيئاً، لأنهم اخـتزلوا الاسـلام في ذواتهم وأحـزابهم، فلا يرون الخير إلا في شيوخهم، فميزان النصر عندهم ميزان خاص عجيب حـتى إني رأيت لأحـدهم عجبـاً عُجابـاً، وذلك أنه عــدّ تعــيين واحد من حزبه في منصب وزير لــوزارة خدمات لا يحل ولا يربط عدّ هذا تمكيناً لأهل الاسـلام في الأرض، فهذا نصر لأنه من حزبه وعلى يدي جماعتـه، وأما دولة طالبان الاسلامية بكل خيرها لم تكن عندهم شيئا.

دعك من هـؤلاء الـذين جلسـوا على أفـواه السـكك كقطــــــــــاع الطريق ليس لهم إلا هم الجلد وممارسة المشيخة الكاذبة على مجموعة صبية صغار لا يعرفــون إلا بركة الشيخ وتقديسه، يعيشون في دورة صـغيرة عجيبـة: "هم جهلة يمرحون وأشياخهم أجهل يجلدون".

دعك أخي المسلم؛ من الذين يريدون عـزة الاسلام ويريـــدون تحقيق الخلافة الراشــدة وهم يصــارعون أهل الاسـلام فقط على مسـجد يتقاسـمونه أو على التقــاط صــاحب جيب لا نظر لهم إلا الى مالــه، فــإذا اســتطاع تسـجيل خطبة له أو درس طـار به كأنه أتبعنفـاء مغـرب وتحقق النصر.

دعك من هـؤلاء ومن أمثـالهم الكثـير ممن لا يـرون الحيـاة إلا رغـداً وترفـاً،ووجه نظـرك الى مقـدار تحقق العبودية في الخلق حينها سترى الكثير من الخير.

ســترى أخي مع ما تقــدم أن أهل الاســلام وأهل الجهاد منهم خاصة هم الذين يقيمـون الحجة على الخلـق، فهم الذين حاكموا الكفر كله، وهم الـذين كشـفوا باطلـه، وهم الذين يقرعون العقول لئلا تنخدع من تلبيسات الظلم والحيف الذي يعيشه العالم فتحقق في هــؤلاء فضل الأمة بـأن جعلها شـهداء على الخلق، كما قـال الله تعـالى في الآية الــتي ابكت حبيبنا المختــار: {فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا}.

فمن الـذي يصـارع قـوى الكفر اليـوم سـوى شـباب الجهـاد وأمة الاسـلام، فالكل قد رضخ ورضي من الغنيمة بالإيـــاب وكأنه خـــدع بلعبة نهاية التـــاريخ، فقد انتهى كل شـيء ولا أمـل، فأمريكا هي السـيد المطـاع، وهي الآمر الناهي، ولا حل سوى الدخول في ركابهـا، والإنضـمام الى خيلها ورجلهــا، فهي الــتي نــادت في الخلــق: "أنا ربكم

الأعلى"، وتبجحت حـــتى نطق زعيمها وقـــال: "ما علمت لكم من إله غيري"، وسـارت كما سيسـير تابعها الـدجال، معها على يمينها جنة الـوهم الكاذبـة، وعلى يسـارها نـار الوعيد والتهديـد، تتبخـتر وتملأ الأرض من زهمها ونتنهـا، فهذه القرية العاتية الظالمة من يقف لها اليوم وهي الـتي سلبت ثروات الشعوب فهم في فقر مدقع وهي في غـنى وثراء كما هو حـال المكسـيك، فهـذه الدولة الـتي تعد من أوائل الـدول في الـثروة النفطية ومع ذلك مدينة بأرقـام فلكية ولا تملك من ثروتها قطـــرة واحــــدة، لأن أمريكا سلبتها كل ذلك وكما فعلت في الكويت والسعودية.

وهي الـــتي قضت على حرية الـــدول وخصوصا منها العربية والمسماة بالاسلامية، فهم كالـدواب، نعم يـأكلون ويشربون لكن لا يملكون لأنفسهم قـراراً ولا كلمة كما هو شأن اليابان وألمانيا كذلك.

وهي ســــيدة القـــرى في مجلس الأمن، فكلمتها النافذة وأمرها المطـاع، وأمريكا هي الـتي أبـادت شـعوباً كاملةً كما فعلت مع الهنـود الحمر وبأرقـام فلكية لا يمكن تصـــديقها بلغت على أقل تقـــدير مـــأتي مليـــون انســان ويقـدرها مطـران نصـراني شـهد المأسـاة بمليـار هنـدي أحمر، والكل ساكت وراضٍ أن أبقت لهم بعض حيـاة على هامش هذه الدنيا.

هـــذه القرية الظالمة من الـــذي أحضـــرها للمحاكمة والمسائلة!

ومن الـذي أنزلها من كبريائها الى محكمة التـاريخ؟! أليسوا شباب الاسلام؟ بل أليسوا شباب الجهاد؟

وهنا أخي الحـــبيب لا تغـــرك هــــذه الصـــرخات المسـتعلية، ولا تخـدعك منـاظر الاسـتعراض لهـذه القرية اليوم فما هذه الا فقاعة صابون وستجري عليها سـنة الله تعالى في أخذه للقرى الظالمة.

تذكر ما قاله الله تعالى وتنعم فيه تسلم.

إقـــرأ معي قوله تعـالى: {وكـذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى الظالمة إن أخذه أليمٌ شديد}.

وتأمل قوله تعـالى: {أخـذه} فإنها تـدل على تمـام مكر الله تعـالى بهم وبهـذه القرية اللعينة الفـاجرة، وهي تدل على أن هذا العذاب لا يقيم لهم قائمـة، وهـذا بخلاف ما يصيب المـؤمن من البلاء فإنه وإن اشـتد عليه إلا أنه لا يقضي عليه ولا يفنيه وقد فصل هذا حـديث النـبي؟ أجمل تفصيل وأبدعه وذلك في مثل للحـالين، حـال المـؤمن مع البلاء، وحال الكافر مع العذاب الدنيوي، فمن حديث كعب بن مالك رضي الله عنه قال: قال صلى الله عليه وسـلم: (مثل المـــؤمن كمثل الخامة من الـــزرع، تُفيئها الـــريح، تصرعها مرة وتعدلها أخرى حتى تهيج، ومثل الكـافر كمثل الأرزة المجذية على أصـلها، لا يصـيبها شـيء حـتى يكـون انجعافها مرة واحدة)[1].

فالمؤمن لا تكسره الإبتلاءات والمحن وإن بـدت أنها قضت عليه وانتهى، بل هي تميله مع بقائه على أصـــــله، وأما الكافر فإن عـذاب الله تعـالى في الـدنيا يقضي عليه ويزيلـــه، وهـــذا الأمر لو أخذته على فهم السـنة الإلهية الكونية في الخلق لرأيته ينطبق تمـام الانطبـاق لا يُخـرم أبداً، فكم من أمة كافرة عظيمة القـوة والسـلطان مـرت على هذه الأمة، فهل ترى لهم اليـوم ذكـراً أو وجـودا؟ لا، بل ذهبوا وبادوا وصهرتهم الأمة حتى لو طـال زمـانهم في أرضـنا، وبقيت هـذه الأمة عصـية على الافنـاء والـدمار والزوال، وكان أشد ما أصابها هو تبـديلها لـدينها في محنة التغـريب الأخـيرة حيث حلت فينا قيم الجاهليـة، وخـرجت طوائف من هـــذه الأمة تلحق بالمشـــركين، ولكن بفضل الله ها هي جموعٌ من الأمة تعود لدينها، بل ودينها الصحيح الـــذي تعرفه من خلال توحيد الله تعـــالى والـــبراءة من المشركين.

وإن سبب هذا الأخذ الشديد إنما هو الظلم، فـالظلم هو سلطان الله تعـالى بلحـوق العـذاب على القـرى، وهو أسرع ما يأتي بالنقمة، وإنه كما قال المصطفى صلى الله عليه وسـلم: (إن الله يملي للظـالم حـتى إذا أخـذه لم يفلته)[2].

وإن من مكر الله تعالى بهـؤلاء أن يأخـذهم وهم في أوج سـلطانهم، كما قـال تعـالى: {فخـرج على قومه في زينته}، فماذا كان لقارون وهو في وهمه؟ والناس يتمنون

---

[1] حديث في الصحيح
[2] حديث صحيح

ماله: {قال الذين يريدون الحيــاة الــدنيا يا ليت لنا مثل ما أوتي قارون إنه لذو حظٍ عظيم}.

أما أهل الـــــدين والعلم بعــــــواقب الظلم والكفر والطغيان فهم الـذين نظـروا الى رضى الـرحمن: {وقـال الذين أوتـوا العلم ويلكم، ثـواب الله خـيرٌ لمن آمن وعمل صالحاً ولا يلقاها إلا الصابرون}.

إي والله ولا يلقاها إلا الصابرون.

في الزينة وبين قومه كـــان العــذاب: {فخســفنا به وبداره الأرض فما كـان له من فئة ينصـرونه من دون الله وما كان من المنتصرين}.

فهذه هي سنة الله تعـالى في أخذ الظـالمين، وذلك أن يأخـذهم في أوج اسـتكبارهم وعلـوهم ورفعتهم - كما قتل السادات وهو في أوج كبريائه -

وكما قال الله تعالى عن فرعون وجنوده: {واستكبر هو وجنـــوده في الأرض بغــير الحق وظنـــوا أنهم إلينا لا يرجعون، فأخذناه وجنـوده فنبـذناهم في اليم فـانظر كيف كـان عاقبة الظـالمين، وجعلنـاهم أئمة يـدعون الى النـار ويـوم القيامة لا ينصـرون، وأتبعنـاهم في هـذه الـدنيا لعنة ويوم القيامة هم من المقبوحين}.

فما تــرى من هــذه القرية الظالمة - وهي أمريكا - من اسـتعلاء إنما هي القهقهية الأخـيرة، ووالله إن العقلاء فيها مشفقون عليها لما يرون من سـفاهة أهلها وقـادتهم، وكـــان النـــاس يتســاءلون لِمَ لم تتعظ أمريكا مما حصل معهـا؟ ونسـوا سـنة الله تعـالى الجارية في الظـالمين أنّ بصيرتهم معطلة وأن تفكيرهم بالعواقب لا وجود له.

ولكن عليك أخي المســلم أن لا تســتعجل، فلا بـــدّ للأمور من جريانها القدري الذي لا مفر منه ولا بديل عنه.

ثم اقـــرأ معي قوله تعـــالى: {وإن من قرية إلا نحن مهلكوها قبل يـوم القيامة أو معـذبوها عـذاباً شـديداً كـان ذلك في الكتاب مسطورا}.

فلا بــــدّ للقرية من هلكة وإلا فعــــذاب، وأما الهلكة فلأن كبريـــاء الله تعـــالى تمنع حصــول الضد لهـــا، والعلو

والارتفــاع واســتقرارهما تأباهما كبريــاء الله تعــالى، وهو ظاهر بين في تاريخ البشرية، وقد نطق به الرسول صــلى الله عليه وسلم، وذلك أن ناقته عليه الصـلاة والسـلام لم تكن تسـبق، فجـاء اعـرابي على بعـير له فسـبقها، فشق ذلك على أصــحابه الكــرام رضــوانٌ الله تعــالى عليهم أجمعين، فقــال المصـطفى صــلى الله عليه وســلم: (ما ارتفع شيء إلا كان حقاً على الله أن يضعه)[3].

و "شـيء" منكـرة لتـدل على الاسـتغراق والعمـوم، فسـبحان الـذي جعل العـزة إزاره والكبريـاء رداءه، وأما العذاب فهو عقوبة العصيان والظلم والطغيان.

والرب يغار؛ ومن يغار ويملك القوة فلا بـدّ أن ينتقم ممن تجرأ على حماه ومحارمه، وهـذه القرية - أي أمريكا - الحقيرة الذليلة علت وعصت.

ثم اعلم أن سنة الله تعالى اليوم هي هي كما كـانت وستبقى، وإياك أن تظن أو يأتي على وهمك أن سـنة الله تعـالى الكونية اليـوم قد تغـيرت، حيث صـار بـدل الحمـار طـائرة، وبـدل الـرمح صـاروخاً، فكل هـذا من مكر الله تعالى بالظالمين، حيث يكون الأخذ الشديد.

إن هذا العلو للقرية الظالمة الذي تراه اليـوم يا عبد الله خداع زائف لا أساس له ولا قرار، وسل إن شـئت كم تحتاج هذه القرية الظالمة الى هزة لتكون قاعاً صفصــفاً، يتهـارش أهلها فيها تهـارش الحمـر، وتختلف كلمتهم حـتى يقتل بعضهم بعضاً.

وسل إن شـــئت أهل الخـــبرة الى أي درجة هـــذا الاقتصــاد متينــاً يتحمل الهـزات والكـوارث، وهل هـذه الأوراق البنكية تصـمد أمـام محن التـاريخ أم أنها ستصـبح وبالاً وسبب هلاك أهلها.

وسل إن شــــئت أهل المعرفة عن روابط هـــــذا المجتمع، وعن قواعده الاجتماعية هل تصـلح لتمنع النـاس من أن يأكل بعضـهم بعضـاً، ويسـفك بعضـهم دمـاء بعض حين يحصل بعض الانفلات الأمــــني، فكم في كل دقيقة يحصل من حـوادث السـرقة، والقتـل، والاغتصـاب، وهل

---

[3] حديث صحيح

هذه القشة الخادعة ستصمد كثيراً مع عامل الزمن الــذي يزيدهم أمراضاً وشيخوخة.

أما إن سألت عن مواطن الصراع بيننا وبينهم فإيـاك أن تخطيء عينك الحقيقة التي يراها كل مؤمن.

في فلســطين؛ قد تخلى المرتــدون عن الأمــر، وزادوا البلاء على أهل الاسلام بلاءً، وكـان آخرها ما صـرح به الملعون ولي العهد العاهر السعودي حيث تـاجر بـدماء الشـهداء، وبتضـحيات أهل الاسـلام ليجعل كل ذلك ثمنـاً لبقاء دولة يهود على أرض فلسطين، ومع ذلك فماذا تـرى هناك؟

هل تـرى تراجعـاً أم هو الإقـدام من شـباب الاسـلام نحو الشهادة والموت في سبيل الله تعالى؟

هل تــرى استسـلاماً أم ارادة الصـمود حـتى لو أدى ذلك الى الموت عن آخرهم؟

ضع دائماً الأمور في نصابها ولا تقع ضـحية الاحصـاء الكاذب ذلك بأن ترى البلاء ولا ترى العطاء، وتـرى المحن ولا ترى المنح، بل حين يكون الحسـاب متعلقـاً بالشـعوب وتاريخها لا حساب التجـار بقرشـهم ودرهمهم تكـون قيمة الارادة في نفوس الشعوب هي الحياة وهي النصر.

وإن شئت دليلاً من الــزمن الحاضر على قيمة ارادة الشعوب حتى لو كـانت كـافرة فـانظر الى جنـوب أفريقيا وتأمل ما فيها من عبر تعرف لمن تكون الخواتيم.

لقد أقيمت دولة يهــود حين كــان اليهــودي صــاحب ارادة وهمة للوصـــول الى هدفـــه، وقد ضـــحى بالغـــالي والنفيس لتكون له هذه الدولــة، ولم تأته كما يظن البعض على طبق من فضة، بل عـانى وقاسى وبـذل حـتى تحقق له ما أراد، ووقتها كـانت أمتنا قد علقت آمالها على حكـام مرتدين جـاؤوا بعد هزيمة ما يقـال له بالاسـتقلال، فرجـوا منهم الخير فما زادوا الأمر إلا شراً وعـذاباً، مع أن اليهـود يومها كانوا مجرد عصـابات وجماعـات لا دولة لهم ولكنهم بالارادة تحقق لهم ما يشتهون.

واليوم من هو الذي يملك هذه الارادة؟

ومن الذي طلب الموت مظانه؟

لا شك أنك معي في الجواب.

واعلم أن من يملك هذين الأمرين سيكون له مـراده وستوهب له الحياة.

في أفغانستان: هـذا البلد الـذي كـان قـدره في هذه الحياة أن يكون آية، سواء كان في جاهلية أو اسـلام، فهل تظن أن هذه الآية قد بطل مفعولها اليوم مع الغـازي الجديد؟

تعال وتأمل:

كل الغزاة وطـؤوا أرضه بسـهولةعجيبة حـتى ليخيل إليهم أنهم في رحلة صـيد، فما أسـهل أن يـتراجع أهلها بطريقة تـذهل كل مـراقب، حـتى أن العـرب الأنصـار في الجهاد كان يتعبهم هذا الأمر ويحق لهم أن لا يرضـوه، ولو تأملت التاريخ القريب جـداً في هـذا البلد لـرأيت أن الكل يـتراجع أمـام الكـل، وأن أمر التخلي عن الأرض في المعارك لا يعدُّ قضية تُؤرق نفسية المقاتـل، حـتى إن أحد الأخوان الأنصار قال لي أنه قـال يومـاً لأحد قـادة طالبـان وهم يقاتلون مسعود على حـدود كابل وقد تراجعـوا أمامه بطريقة مذهلة لـولا مجموعة من شـباب الأنصـار العـرب صـدوه عنهـا، قـال لـه: لمـاذا تتخلـون عن كابل بهـذه السهولة؟

فـرد عليه الأفغـاني الطالبـاني: لا عليك ليأخـذها ولا بأس في هذا، وسنأخذها منه بعد ذلك.

عجب والله وإيما عجب، وكأن القوم يتصـارعون مع خصومهم لا على من ينتصر ولكن على من يصبر.

وهم لا يهمهم ولا يعنيهم كثيراً ما يقول الناس عنهم، وليس هذه من قيم الحياة الكبيرة لديهم.

ثم ثانية:

مبدأ الغنيمة هو جزء من حياتهم، فالقتال حيـاة على معناه الدنيوي حتى ولو خلا من حقيقته الجهادية وتحصـيل الآخرة، وهذا أمر قد يزعج بعض الأخوان ولكن حين يصبح

الجهـاد حركة أمة كاملة لا طائفة ونخبة فلا بـدّ من هـذه الاعتبارات لأهميتها في حسم الصراع وفي استدامته أولاً.

إن من خبر طريقة القوم في القتـال ضد خصـومهم يرى أن مبدأ الغنيمة أمر مهم في التحريك والتفاعل، وقد قـال هـذا الأمر الرجل الـذي خـبرهم حـتى النخـاع خلال الجهـاد ضد الـدب الروسي صـاحب كتـاب "فخ الـدب" وتحدث في هـذا البـاب عجبـاً عن أهل أفغانسـتان، وقـال بأنه لم يحصل قط أن قام المجاهدون الأفغان بعملية ذات شـأن ضد الـروس إلا وعين المقـاتلين الى ما سيحصـلون من غنيمة في المعركة، فـإذا خلت المعركة من هـذا الأمر فمن الصعب بل لم يحدث قط أن تحركوا معها أو فعلوها.

وقد علم الأنصار العرب أن بعض مناطق الجهـاد في أفغانستان كـان المجاهـدون يتركونها رجـاء أخذ العـدو لها حتى تمتليء بالطعام والـذخيرة فيعـودون ويقـاتلون عليها فيحصلون الغنيمة الجديدة.

هـــذا المبـــدأ ليس عجيبـــاً ومن ظن اأنه فريد في التـاريخ الاسـلامي مع الجهـاد فهو مخطيء، فـإن شـيخ الاسـلام ابن تيمية رحمه الله تعـالى يقـرر أنه قلما خلص جهاد الناس عند المتأخرين عن رغبة الملك والغنيمة.

يقول رحمه الله تعـالى: (فإنه لا بـدّ من أحد أمـرين إما ترك الغزو معهم - أي الأمـراء الفجـار والعسـكر كثـير الفجور - فيلزم من ذلك استيلاء الآخرين الـذين هم أعظم ضـرراً في الـدين والـدنيا، وإما الغـزو مع الأمـير الفـاجر فيحصل بذلك دفع الأفجرين، وإقامة أكثر شـرائع الاسـلام وإن لم يمكن إقامة جميعهـا، فهـذا هو الـواجب في هـذه الصـورة وكل ما أشـبهها، بل كثـير من الغـزو الحاصل بعد الخلفاء الراشدين لم يقع إلا على هذا الوجه) انتهى.

وها أنت تـرى الآن كيف يتحـرك الخـير هنـاك وعلى طريقتـه، وقطعـاً أنك لن تفهم الأمـور جيـداً إذا كنت من أهل الوهم والأحلام وهو أنك تتصور المعـارك كما تتخيلها؛ وهو ما يصوره البعض بأن يـأتي أهل الاسـلام على خيـول بيضـــاء يصـــرخون وهم شـــاهرون أسـلحتهم فما هي إلا لحظـات حـتى تـترك سـاحة المعركة وقد أبيـدت خضـراء الأعـــداء، لا، دعك من هـــذه الأوهـــام، وإن شـــئت فـــاقرأ بالتفصيل ما كتب في ثنايا السطور عن الحروب الصـليبية تدرك أن الانهاك الذي كان يقـوم به طائفة العلم والجهـاد

هو الــذي حقق النصر في المعــارك الكــبرى لا المعــارك الكبرى ذاتها، بل لم تكن هذه المعارك الكبرى كحطين إلا محصــلة لمعــارك صــغيرة لا تكــاد تــذكر في التــاريخ لكنها كانت الأرقام الأولى لتشكل النصر الكبير النهائي.

وها أنت اليــوم أخي الحــبيب تقــرأ وتســمع كيف أن القضية ما تزال تســير على ســنتها وبابها، و لم تخــرم منه شيئاً، ولعل معارك غرديز وخوست الأخيرة ومطار قندهار الذي هاجمه الأخوة أكــثر من مــرة تعطيك بعض الجــوانب فيما تسأل عنه.

وذاك في ذات الاله وإن يشأ يبارك على أوصال شلو ممزع

وعجيب من قوم أغلقــوا الملف فما بين بــاكٍ يــائس هزته المناظر ولم يعد في قلبه بريق أمل، أو قومٍ أخذتهم نشوة الاستهزاء والضحك على قوم وثقــوا بالله وآمنــوا به وبوعده فلم يجدوا شيئاً بحسب نظرهم وحساباتهم.

إن التاريخ لم ينته وما زال في القصة فضل بقية هو الأجمل لنا في هــذه الــدنيا، وإن كــان أولها أجمل لمعــنى الصـــبر والبلاء، لكن آخرها كما قـــال تعـــالى: {وأخـــرى تحبونها نصرٌ من الله وفتح قريب}.

وتأمل في قوله تعــالى: {تحبونها} تعلم موقعها في هذه القصة وأين تقع.

إن العين التي لا ترى إلا ألمها عين مهزومة لا تصــلح لخــوض الحــروب ولا لحمل آمــال الأمم وأهــدافها، فالله تعالى يقول: {إن تكونوا تألمون فإنهم يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون}.

إن قصة اليـــوم هي قصة الأمة في كل أزمنتها وفي كل أوقاتها، هكــذا هي، فما الشــيء العجيب اليــوم نعيشه وهو على خلاف ما نعرف؟!

يا قــوم إن لم يكن لكم في كتــاب الله تعــالى عــبرة وهداية وجــواب لما ســيقع من قصة هــذا الصــراع مع هــذا القــرن الــرومي وهــذه القرية الظالمة أمريكا فــاعتبروا بالتــاريخ الــذي تتبجحــون أنكم تقرؤونــه،واعتــبروا بالســنة

الكونية الـتي تزعمـون أنكم قد هـديتم إليهـا، فـأنتم تتشدقون بها أكثر من قراءتكم لكتاب ربكم.

وصدق رسول الله صـلى الله عليه وسـلم: (ولكنكم تستعجلون)[4].

وإنه لمن العجب فيما يقع أن يكـون أهل البلاء هم أكثر الناس ثقة بنصر الله تعالى، وأن يكون القاعـدون هم أهل الشك والريب.

والسـبب واضـح؛ ذلك أن القاعـدين لا يـرون إلا ما يسوقه سـحرة فرعـون من اعلام وزخرفة القـول وانتقـاء الصور، فـترتجف أوصـالهم وتهـتز بـوادرهم، ويسـقط في أيديهم،.

وأهل البلاء يعيشـون رحمة الله تعـالى، ويحسـون نعمة الله تعالى بأيـديهم، وبهـذا تسـتمر بسـمة وجـوههم، فهـذا واحد من جنـود الطـاغوت الأمـريكي الجـرحى من معركة غرديز الأخـيرة يصف غـرائب أهل الإيمـان وهو يقصفهم بطائرته ويقول: "لقد كان باسـتطاعتنا أن نسـمع ضحكاتهم وهم يقاتلوننا".

الله أكبر... الله أكبر...

وهـذا الملا محمد عمر حفظه الله تعـالى من كل مكـروه يتصل بحـاكم قنـدهار الجديد ويحـذره من أن يزيد في عذابه على النـاس لأن الأمر لن يطـول، والمحكمة ليست بعيدة في يومها عنه.

والبشائر كثيرة لو تعلمون، لكن لا بدّ من الصبر.

وها بين يدي حـديث عجيب يـبين لك افـتراق النـاس في مثل هـذه الأحـداث وكيف سـتكون العاقبة ولمن سـتكون، فقد روى الإمـام مسـلم رحمه الله تعـالى في صحيحه من طريق أبي قتادة العدوي، عن يسير بن جـابر، قـال: (هـاجت ريح حمـراء بالكوفـة، فجـاء رجل ليس له هجير، إلا: يا عبدالله ابن مسـعود جـاءت السـاعة، فقـال: فقعد وكان متكئاً، فقال: إن الساعة لا تقوم حتى لا يُقَسّمُ ميراث، ولا يفـرح بغنيمـة، ثم قـال بيـده هكـذا ونحاها نحو الشام فقال: عدوٌ يجمعـون لأهل الاسـلام ويجمع لهم أهل

[4] حديث صحيح

الاسلام، فقلت: الروم تعني؟ قال: نعم، قال: ويكــون عند ذاكم ردة شديدة)[5].

وفيه تفصيل لهذه الـردة وما يحـدث بعد من حـديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً قال: (لا تقوم الســاعة حتى تنزل الروم بالأعماق أو بدابق، فيخرج إليه جيش من المدينة من خيـار أهل الأرض يومئـذ، فـإذا تصـافوا قـالت الـروم: خلـوا بيننا وبين الـذين سـبوا منا نقـاتلهم، فيقـول المســـــــلمون: لا والله لا نخلي بينكم وبين إخوانـــــــــا، فيقـاتلونهم، فينهـزم ثلث لا يتـوب الله عليهم أبـداً، ويقتل ثلثهم أفضل الشــهداء عند اللــه، ويفتح الثلث لا يفتنــون أبداً).

أما كيف يقتل أهل الاســلام، فالتفصــيل في حــديث ابن مسعود رضي الله عنه فنعود إليه.

قال: (فيشترط المسـلمون شـرطة للمـوت لا ترجع إلا غالبة، فيقتلـون حـتى يحجز بينهم الليـل، فيفيء هـؤلاء وهـؤلاء، كل غـير غـالب، وتفـنى الشـرطة، ثم يشـترط المسلمون شرطة للموت لا ترجع إلا غالبة، فيقتلون حتى يحجز بينهم الليل فيفيء هـؤلاء وهـؤلاء كل غـير غـالب، وتفنى الشرطة، ثم يشترط المسلمون شـرطة للمـوت لا ترجع إلا غالبة فيقتلون، حتى يفيء هؤلاء وهؤلاء، كلٌ غـير غالب، وتفنى الشـرطة، فـإذا كـان اليـوم الرابع نهد إليهم بقية أهل الاســلام، فيجعل الله الـدائرة عليهم، فيقتتلـون مقتلـة، إما قـال: لا يـرى مثلهـا، وإما قـال: لم ير مثلها - والشك هنا من الـراوي - حـتى إن الطـائر ليمر بجنبـاتهم فما يخلفهم حتى يخر ميتاً).

وهــذا الحــديث عظيم وإن لم يــأت تأويله بعد لكنه كأنه يصف حال الأخـوة المجاهـدين الأفغـان من الطالبـان والمجاهد الملا محمد عمر في عــــدم تســـليمهم لأمريكا الشــيخ المجاهد أســامة بن لادن حفظه الله تعـالى أو أي أحد من الأخـوة المجاهـدين الأنصـار، فـإن قـول الـروم لجماعة من أهل الإسلام: "خلوا بيننا وبين الذين سـبوا منا نقاتلهم"، هو كقول امريكا لطالبان خلوا بيننا وبين العـرب والمجاهدين نقتلهم ونقاتلهم، فما كان جواب أهل الإيمـان الا: "لا والله لا نخلي بينكم وبينهم... فإنه الـــدم الـــدم... والهدم الهدم".

[5] هذا لفظ مسلم رحمه الله تعالى

كما يـبين منـازل النـاس في الفتن، وكيف يقع نصر الله تعالى على البقية الباقية من أهل الايمان.

فقسـمٌ من المسـلمين يفر من المعركـة، وهـؤلاء لا يتوب الله تعـالى عليهم أبـداً، وقد رأينا شـبيهاً بهـؤلاء في هـذه المحن كيف خـذلوا أهل الاسـلام، بل كيف أعـانوا الكفـرة الملاعين وأفتـوا لهم بقتل المسـلمين، وأصـدروا الفتـاوى العجيبة الـتي تمجها عقـول الأسـوياء فضـلاً عن عقول أهل الايمـان، بجـواز مشـاركة المسـلم الكـافر في قتل المسلمين، فهل هؤلاء يعودون الى خير، لا والله حتى ولو تابوا فإنهم لن يعودوا الى ما كانوا عليه.

وقد بلغـني عن أحـدهم وقد خـاض في الشر مع من خاضـوا ثم آب الى رشـده فهو في هم ونكـد، فلما بلغـني خـبره قلت: هيهـات أن يعـود الى ما كـان عليـه، فإنه وإن تـاب فـأين الـدماء الـتي سـالت؟ وأين من ذهب مذهبه واسـتدل بأقوالـه؟ كيف يرجع ايمانه الى ما كـان عليـه، فالله المستعان.

وأما طائفة الإيمان فهي طائفة البيعة مع الله تعالى، فهي التي يفتح الله تعالى عليها، ولا يفتح الله تعالى عليها حتى يذهب أكثرها، حتى إن الحـديث في نهايته يقـول ابن مسعود رضي الله عنـه: (فيتعـاد بنو الأب كـانوا مائـة، فلا يجدون بقي منهم إلا الرجل الواحد، فبأي غنيمة يُفـرح؟ أو أي ميراث يقاسم؟).

فأين هؤلاء الذين يتصورون نصراً أشـبه بمهرجانـات السيرك المزخرفة؟

إن الأمر أمر دمـاء وأشـلاء وبلاء، وهـذه هي طبيعة المعارك اليوم ليس لها صورة إلا هذه، ولكن هذه الصورة لا تسـقط الجهـاد ولا تجعله حربـاً مكروهة كما يريد بعض المـأفونين تصـويرها ليلزمـوا أهل الاسـلام بالـذل وقبـول الرضوخ لأعدائهم.

إنها حرب فيها القتل والـدمار ولكن العاقبة للمتقين، وأما الجمع فسـيهزمون ويولـون الـدبر ولا شك في وعد الله تعالى.

إن البشـائر والله كثـيرة وعديـدة، من فلسـطين الحبيبـة، الى أفغانسـتان أرض الآيـات، الى الشيشـان

الأعجوبة، الى كل هذا الزخم الايماني المتعالي المتصـاعد في كل الصعد.

فأيُّ عيون عمياء هذه التي لا تبصر هذا؟!

أما الـذين يحصـون عـدد موتانا وسـجنائنا وبـذلك يقيسـون الأمـور، فقل لهم: إن زلـزالاً صـغيراً واحـداً في مصر أو في تركيا أو في أفغانسـتان يحصد هـذه الأعـداد، بل احـتراق قطـار في مصر أودى بمئـات القتلى، فمن أجمل ومن أعظم في ميزان الله تعـالى ومـيزان الايمـان والآخـرة، مـوت هـؤلاء شـهداء في سـبيل الله تعـالى أم موتهم وأغلبهم في معصية وسكر وادبار عن الله تعالى؟!

{نبؤني بعلم إن كنت صادقين}.

ثم تـذكر أن الله تعـالى لم يَعد أهل الايمـان أن لا يبتليهم ويقـرمهم، بل حصـول هـذا هو من طبيعة الطريق لكن يحتـاج الى الصـبر كما قـال صـلى الله عليه وسـلم: (عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله له خير، إن أصابته سـراء شكر فكان خيراً له، وإن أصابته ضـراء صـبر فكـان خـيراً له)[6].

فكما كانت معركة بدر نعمة ورحمة، فكـذلك معركة أحد نعمة ورحمة، كما قال شـيخ الاسـلام ابن تيمية رحمه الله تعـالى، قـال: (فكـان من حكمة الله تعـالى ورحمته بـالمؤمنين أن ابتلاهم، ليمحص الله الـذين آمنـوا، ويـنيبوا الى ربهم، وليظهر من عـدوهم ما ظهر منه من البغي والمكر والنكث والخروج عن شرائع الاسلام فيقوم بهم ما يستوجبون به النصـر، وبعـدوهم ما يسـتوجب به الانتقـام، فقد كان في نفـوس كثـير من مقاتلة المسـلمين ورعيتهم من الشر الكبير ما لو يقترن به ظفر بعـدوهم لأوجب لهم ذلك من فسـاد الـدين والـدنيا ما لا يوصـف، كما أن نصر الله تعـالى للمسـلمين يـوم بـدر كـان رحمة ونعمـة، وهـزيمتهم يـوم أحد كـانت نعمة ورحمة على المؤمـنين) انتهى.

إن اليـأس من رحمة الله تعـالى من الكبـائر بل من اعظمها كما قـال الله تعـالى على لسـان يعقـوب عليه السلام: {إنه لا ييأس من روح الله إلا القـوم الكـافرون}، وأن من اعظمها اشـاعته بين أهل الإسـلام، كما قـال

---

[6] حديث صحيح

رسولنا صلى الله عليه وسلم: (من قال هلك الناس فهو أهلكهم).

وقد عد رسولنا اليأس من الكبائر - كما في الحديث الصحيح -

وإن من علم سنة صعود الأمم وهبوطها ومن قرأ تاريخ الحضارات وكيف تشاد وكيف تزول ليعلم علم اليقين من هو الذي من الفريقين في علو ومن هو في هبوط.

انظر لهذه الأمة اليوم ووعيها وقارن هذا الوعي بما كانت عليه قبل،وكيف ميزت أصدقاءها من اعدائها وكيف ادركت الطريق الصحيح في التعامل مع خصومها، وكيف علمت حقيقة حكامها.

لتكن دائما على ذكر بما قاله الحبيب صلى الله عليه وسلم: (إن الله زوى لي الأرض وسيبلغ ملكي ما زوي لي منها).

وما تراه من مكرهم فاعلم انه في تباب.

وما تراه من انفاقهم فسينفقونه ثم يكون عليهم حسرة ثم يغلبون والذين كفروا الى جهنم يحشرون.

وأنك حين ترى هذه الجموع وهي تتدافع نحو الشهادة، وإنك حين ترى هذه الأم وهي تقدم ابنها لها وهي تعلم أنه لن يعود، وإنك حين تعلم أن أهل الإيمان يتفلتون من دنياهم كأنها الجرب ويركضون الى رضوان الله، ثم تنظر في الجهة المقابلة فترى كل خسة ونذالة، وترى تكالبا على الدنيا، وترى هبوطا أخلاقيا لا يتصور تعلم حينها لمن العاقبة إن كان لك بصر.

قف عند هذه المعاني الايمانية يا عبد الله وارجع الى نفسك بالتأديب والتعليم، واستجمع ارادتك فلعلك تصيب ما أصابه أنس بن النضر رضي الله عنه في أحد، أو يقع عليك الوعد الالهي، وهو حقاً نراه.

والحمد لله رب العالمين